المزارع الوقفيّة
وقف النخيل أنموذجًا

إعداد:
د. إبراهيم بن علي المحسن
الرئيس التنفيذي لمؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية ـ الرياض
Dr.ibrahimmohssn@rf.org.sa

المقدمة

النخل والنخيل ومزارعها ليست مجرّد شجرة؛ بل قيمةٌ عابرةٌ للزمن والحضارات، وأيقونة للحياة والصمود والعطاء...

وتُعدُّ المزارع الوقفيّة إحدى أهمّ الآليّات الحضاريّة التي طوّرتها الأمّة الإسلاميّة؛ لتحقيق التكافل الاجتماعيّ عبر الزمن، ولقد شكّل نظام الوقف عمومًا، والزراعيّ منه خصوصًا، ركيزةً أساسيّةً في حمل هموم المجتمع وتبنّي قضاياه وحاجات أفراده، ممّا انعكس على البناء الاجتماعيّ والاقتصاديّ للمجتمعات الإسلاميّة، حيث مَثَّلَ وسيلةً فعّالة لتوظيف الموارد الطبيعيّة في خدمة الأهداف الخيريّة والتنمويّة.

وتأتي مزارع النخيل أحد المجالات الوقفيّة المهمّة في المجال الزراعيّ، نظرًا إلى ما تتميّز به من خصائص اقتصاديّة وبيئيّة واجتماعيّة فريدة، ولكونها ترتبط بثمرة محبوبةٍ لدى عامّة الناس، وهي التمر.

إنّ النخلة شجرةٌ مباركةٌ في التراث الإسلاميّ، وهي في الوقت ذاته تمثّل مصدرًا اقتصاديًّا مستدامًا يمكن الاعتماد عليه لعقود طويلة، مما يضمن استمراريّة عوائد الوقف وديمومة منافعه.

كما أنّ مزارع النخيل تتطلّب استثمارًا أوّليًا محدودًا نسبيًّا مقارنةً بعوائدها طويلة

المدى، وهي تُسهم في الحفاظ على التوازن البيئيّ، وتوفير فرص عمل مستدامة لطبقاتِ المجتمع المختلفة.

ولقد أثبتت التجارب التاريخيّة والمعاصرة أنّ وقف مزارع النخيل يحقّق أهدافًا متعدّدة الأبعاد، تشمل الأبعاد الاجتماعيّة من خلال توفير الدعم للفئات المحتاجة، والأبعاد الاقتصاديّة عبر تنمية الثروة الزراعيّة وتعزيز الأمن الغذائيّ، والأبعاد البيئيّة كذلك.

ويأتي هذا البحث ليعالج المسألة بالمنهج الاستقرائيّ التحليليّ، حيث تَشَكَّلَتْ مشكلته في غياب الدراسات المتكاملة النظريّة منها والعمليّة نحو وقف النخيل، وأصبحت الأسئلة الشائعة: هل وقف النخيل ذو عوائد وقفيّة مضمونة الأجر والثمرة؟ وهل عرفت الحضارة الإسلاميّة وقف المزارع والنخيل؟

وقد سعى البحث من خلال منهجه لتبديد ما له صلة بمشكلته ولطرح الجواب على أسئلته، ومن خلال عناصره الاثني عشر وصل إلى نتائجه وتوصياته، فهو يعدّ لبنةً أوليّةً في سلسلةٍ طويلةٍ تأتي في هذا الموضوع لاحقًا بإذن الله تعالى.

العنصر الأول: النخيل في حياة الأمم والشعوب:

ارتبطت النخلة بوجدان كثير من الشعوب منذ القدم، فكانت حاضرةً بقوّةٍ في الحضارات القديمة كبلاد الرافدين والشام ومصر، حيث كانت تُعرف بـ«شجرة الحياة» و«شجرة الفردوس». ووصلت مكانتها في حضارة بابل القديمة إلى أن تكون شجرةً مقدسةً.

وقد أشارت الدراسات التاريخيّة إلى أنّ موطن نخلة التمر الأوّل هو الجزء الجنوبيّ من جزيرة العرب؛ اليمن والمدينة المنوّرة وجنوبي العراق، وترجم A.H.Sayce بعض النصوص الأثريّة عن نخلة التمر، حيث ورد فيها: الشجرة المقدّسة التي يناطح سعفها السماء، وتتعمّق جذورها في الأغوار البعيدة هي الشجرة التي يعتمد عليها العالم في رزقهم؛ فقد كانت بحقٍّ شجرة الحياة (Tree of life)[1].

(١) نخلة التمر ـ شجر الحياة، د عبدالباسط عودة، المركز القوميّ لدراسات المناطق الجافة، ٢٠٠٨، ص١٤.

وهـذا الارتباط العميـق بين الأمـم والنخلة لم يكـن صدفةً محضةً، بـل هو نتيجة لشـموخها وعطائها الـذي لا ينضـب وقدرتها علـى الصبر فـي البيئات القاسـية، وهو ما جعلها رمزًا للصمود والكرم في مخيّلة الناس.

ولقد اقترنت المكانة التاريخيّة للنخلة مع قيمتها الروحيّة العميقة في الإسلام، وكأنّ الإسلام جعلها قبل رسالته العامّة كذلك؛ لتكون فيه حين صار دينًا ووحيًا للعالم كذلك، فقد أضفى عليها الوحي بُعدًا خالدًا.

لم يكن إذًا وقف النخيل مجرّد عملٍ خيريّ فقط، بل كان أنموذجًا للعمل المستدام الذي يجمع بين المنفعة الدنيويّة والأجر الأخرويّ، ويشـكّل حلقة وصل بين الماضي والحاضر، ويقدّم رؤيةً لمستقبلٍ أكثر استدامة.

ولقد احتلّـت النخلة مكانةً مرموقةً فـي الحضارات القديمة؛ ففـي وادي الرافدين أظهرت النصوص المسماريّة معرفةً متقدّمةً بزراعتها وتلقيحها، كما استُخدِمت جذوعها في بناء المنازل والمعابد. وتؤكّد المصادر التاريخيّة على أنّ النخلة كانت مصدرًا أساسيًّا للغذاء، فقد كانت ثمارها تُستخدم في صناعة أنواع من الدبس والخلّ.

وفـي مصـر القديمـة كانـت النخلة رمـزًا لطـول العمر وشـجرةً لبعـض آلهتهم المزعومة. وهذا الإرثُ الحضاريّ المتجذّر لم يختفِ، بل استمرّ عبر الأجيال حتى إنّ منظّمة اليونسـكو سـجّلت المعارف والتقاليد المرتبطة بالنخيل تراثًا إنسـانيًّا غير ماديّ في عام ٢٠١٩، بمبـادرة من ١٤ دولة عربيّة، ممّا يبـرز قيمتها الثقافيّة الممتدّة على المستوى العالميّ.

العنصر الثاني: المزارع الوقفيّة في الحضارة الإسلاميّة:

نظر المسلمون إلى الأرض الزراعيّة باعتبارها مصدرًا للرزق والبركة، ورَأوها مجالًا واسعًا استخدموه لتجسيد قيمِ التكافل والتضامن، وبهذا انطلقت فكرة المزارع الوقفيّة ووقف الزروع، إلى أن احتلّت مكانةً فارقةً في الحضارة الإسلاميّة في البنية الاقتصاديّة والحيـاة الاجتماعيّـة، فقد صـارت أنموذجًا حيًّا لتسـخير المـوارد الطبيعيّـة في خدمة المجتمع وضمان استدامة الخير للأجيال المتعاقبة.

ومنذ العصور الأولى وُقفت المزارع والبساتين والحقول على وجوه كثيرة من البرّ، مثل تمويل المدارس والكتاتيب ورعاية الأيتام والفقراء وصيانة المساجد وإطعام المسافرين، بل حتى الإنفاق على المستشفيات. وهذا سببٌ رئيسيّ لجعل الزراعة الوقفيّة رافدًا اقتصاديًّا يضمن استمراريّة المؤسسات الخيريّة دون انقطاع، وغالبًا ما يُعبّر عنها بوقف الحائط أو البستان أو الأرض.

وقد برزت المزارع الوقفيّة في مدن كثيرة مثل المدينة المنوّرة ودمشق، والقاهرة، وبغداد، وقرطبة، حيث كانت أشبه بمجمعات زراعية متكاملة تشمل البساتين، والسواقي، والطواحين، والمخازن، فمن ذلك ما أوقف على بيمارستان دمشق، والبيمارستان النوريّ، والمستشفى القيمريّ في الصالحية ـ من القرى والبساتين والحوانيت والطواحين[(١)]. ووقف الأراضي هو الأصل في الوقف، وما عداه مقيس عليه، وقد بدأ مبكّرا في الأزمنة الفاضلة؛ فعن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها، أنّ رسول الله ﷺ جعل سبع حيطان له بالمدينة صدقة على بني المطلّب وبني هاشم[(٢)]. وعن جعفر ابن محمّد، عن أبيه، أنّ عليّ بني طالب رضي الله عنه قطع له عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينبع، ثمّ اشترى علي بن أبي طالب إلى قطيعة عمر أشياء، فحفر فيها عينًا، فبينما هم يعملون فيها إذ تفجّر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتي علي وبشّر بذلك، قال: بَشِّرِ الوارث. ثمّ تصدّق بها على الفقراء والمساكين وفى سبيل الله وابن السبيل؛ القريب والبعيد وفي السلم وفى الحرب؛ ليوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه؛ ليصرف الله جل جلاله بها وجهي عن النار ويصرف النار عن وجهي[(٣)].

لقد استمرّ وقف الأراضي على الخير وأعماله، ففي زمن محمّد علي في مصر حُصِرَتِ الأراضي المصريّة، فَوُجِدَ أنّ ثلث الأراضي المصريّة أرضٌ موقوفةٌ[(٤)].

وهذا يدلّ على انتباه أفراد الأمّة لقيمة الزرع والأرض في ديمومة نفعها على من توقّف عليه من أصحاب الحاجات.

(١) خطط الشام (٦/ ١٥٦ - ١٥٩)
(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٢/ ٢٦٤)
(٣) السنن الكبرى للبيهقي (١٢/ ٢٦٤)
(٤) محاضرات في الوقف، ص٢٢

العنصر الثالث: النخلة في الوحي القرآنيّ والسنّة النبويّة:

في القرآن الكريم ورد ذكر النخلة وبعض أجزائها في أكثر من عشرين موضعًا، مما يشي بمكانتها المتميّزة. فلقد جعل الله ﷻ النخلة آيةً من آياته ونعمةً على خلقه، كما جاء في قوله ﷻ: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ﴾ [المؤمنون: ١٩]. ولم تقتصر مكانتها على الغذاء فقط، بل كانت غذاءً مباركًا في مواقف الشدّة، كما في قصّة مريم عليها السلام؛ فقد أمرها الله بهزّ جذع النخلة قال ﷻ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

وتُختتم هذه المكانة العظيمة بوصفها شجرةً من أشجار الجنة، قال الله ﷻ: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]. وفي الحديث: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»[(١)].

أما في السنّة النبويّة فقد ارتقى النبيّ ﷺ بمكانة النخلة إلى أن جعلها استعارةً خالدةً للمؤمن. فقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البوادي قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟، قال: «هي النخلة»[(٢)]، وهذا التشبيه يحمل في طيّاته دلالات عميقة؛ فالنخلة تشبه المؤمن في دوام نفعها وكثرة عطائها، فجميع أجزائها مفيدة، من ثمرها إلى خوصها وجذوعها. وهذا التشبيه ليس مجرّد مدحٍ فحسب، بل هو إشارةٌ واضحةٌ إلى أنّ جوهر الإيمان هو العطاء الدائم والنفع المتّصل، وهو ما يمثّل النواة الروحيّة لمفهوم الصدقة الجارية، ومنه انبعثت فكرة وقف النخيل، حيث يستمرّ نفع الشجرة للمحتاجين بعد غرسها بزمن طويلٍ، تمامًا مثل عمل المؤمن الذي يستمرّ أجره بعد وفاته.

(١) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، رقم ٣٤٦٤.

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، رقم (٦١)، ومسلم، في صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة رقم (٢٨١١)

ويقول علماء الحيوان والنبات: إنّ النخلة عمومًا شديدة الشبه بالإنسان؛ فهي ذات جذع منتصب، وإذا قُطع رأسها ماتت، وإذا تعرّض قلبها (الجمارة) لصدمة قويّة هلكت، ومنها الذكر والأنثى[١]. وورد في رسائل إخوان الصفا: النخل أوّل المرتبة النباتيّة مما يلي الحيوانيّة؛ فهو نبات حيوانيّ إذا قطعت رؤوس النخيل جفّ ومات، وهذا من شأن الحيوان لا من شأن النبات[٢].

العنصر الرابع: اقتصاد النخلة... أرقام تتحدث:

لقد أثبتت النخلة أنها ليست مجرّد مصدرٍ للغذاء، بل هي محرّك اقتصاديّ قويّ وفقًا لإحصاءات منظّمة الأغذية والزراعة (FAO) لعام ٢٠٢٣م، وتهيمن الدول العربية على إنتاج التمور العالمي.

الدولة	الإنتاج (مليون طن)	التصدير (مليون دولار)
مصر	١,٨٦	٨٨
السعودية	١,٦٤	٣٩٠[٣]

ويُلاحَظ من الإحصائيّة تباينًا مهمًّا، حيث إنّ هناك فجوة بين ما يُنتج وما يُصدر بين الدولتين!

فبينما تتصدّر مصر قائمة الدول المنتجة من حيث الكميّة، تتصدر السعودية قائمة المصدرين من حيث القيمة، وهذا التباين يُشير إلى تحوّل مهمّ في مشروعات وقف النخيل الحديثة؛ فبدلًا من التركيز على الإنتاج الكمّيّ للأصناف المحليّة، أصبح هناك تركيز على زراعة الأصناف العالميّة عالية الجودة مثل «المجدول» و«البرحي». وهذا التوجّه يهدف إلى تحقيق أقصى عائد ماليّ ممكن من أجل دعم المشروعات الخيريّة، مما يجعل الوقف أكثر كفاءةً وربحيةً.

(١) نخلة التمر ـ شجر الحياة، ص١٩
(٢) نخلة التمر ـ شجر الحياة، ص٢٠
(3) https://linksshortcut.com/graRG

العنصر الخامس: الوقف.. جذور تاريخيّة وتراث يثمر بعد الممات:

يُعدُّ الوقف في الإسلام من أسمى صور العمل الصالح، فهو تجسيدٌ لمفهوم الصدقة الجارية التي يستمرّ أجرها بعد انقطاع العمل بموت الإنسان. وقد حثَّ النبيّ ﷺ على هذا النوع من العطاء في قوله: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[(١)]. وهذا المفهوم لم يكن مجرّد دعوة فرديّة، بل تحوّل إلى مبدأ اقتصاديّ واجتماعيّ أسّس لحضارة من التكافل، حيث يُعطى المال الموقوف لجهةٍ معيّنة، ويُصرف ريعه في سبيل الله، مما يضمن استدامة المنفعة قرونًا طويلة.

ووقف النخيل قديمٌ بقدم الإسلام بكونه برز في زمن استقرار الدولة الإسلاميّة وتحت ظلّ الرسالة، فمن الأمثلة على ذلك: قصّة الصحابيّ الجليل أبي الدحداح رضي الله عنه، وقصّة سلمان الفارسيّ رضي الله عنه. في قصة أبي الدحداح، يرويها أنس رضي الله عنه، أنّ رجلًا قال: يا رسول الله: إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها، فَأْمُرْهُ أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ: أعطها إياه بنخلة في الجنة، فأبى، فأتاه أبو الدحداح رضي الله عنه فقال: بعني نخلتك بحائطي. ففعل، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني قد ابتعت النخلة بحائطي. قال: فاجعلها له، فقد أعطيتكها. فقال رسول الله ﷺ: كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة!، قالها مرارًا. قال: فأتى امرأته، فقال: يا أمّ الدحداح اخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة. فقالت: ربح البيع. أو كلمة تشبهها[(٢)]. وهذه القصّة تمثل أُنموذجًا للوقف الفرديّ الضخم الذي ينبع من الإيمان المطلق، حيث يبادل المؤمن ما يملكه في الدنيا بما هو أعظم وأبقى في الآخرة.

أما قصّة سلمان الفارسي رضي الله عنه فهي نموذجٌ آخر للوقف الخيريّ الجماعيّ. فعندما أراد سلمان الفارسيّ رضي الله عنه أن يفكّ قيده من العبوديّة طلب منه سيّده اليهوديّ أن يغرس له ثلاثمائة نخلة، وأن يدفع له أربعين أوقية من الذهب، فاجتمع الصحابة رضي الله عنهم

(١) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ١٦٣١.
(٢) مسند أحمد برقم (١٢٤٨٢)

على الفور لجمع النخل وزراعته، وتولّى النبيّ ﷺ بنفسه غرس معظمها، فكانت بركةً عظيمةً[١].

العنصر السادس: قصّة «الصالح الراجحي»: حين يصبح الوقف إمبراطوريّة خيريّة:

تطوّر مفهوم وقف النخيل بين ماضٍ مشرقٍ وحاضرٍ يتتبّع الخطأ، فمن بستان أبي الدحداح رضي الله عنه في المدينة المنوّرة إلى مزرعة مذهلة لا مثيل لها في العالم، وهي مزرعة الشيخ صالح الراجحي رحمه الله في منطقة القصيم في المملكة العربية السعوديّة.

ففي العصر الحديث عاد مفهوم وقف المزارع من جديد، وربما كانت طرق الريّ الحديثة وطرق الزراعة الحديثة معزّزة ومشجّعة على الانتباه لذلك، وتجدّد مع ذلك قيمة وقف النخيل وتحوّل من عمل فرديّ إلى نموذجٍ مؤسسيّ؛ حيث أنشأ الشيخ صالح الراجحي رحمه الله (ت: ١٤٣٢هـ) مؤسّسة وقفيّة خاصّة، كان من أبرز مشروعاتها مزرعة النخيل التي دخلت موسوعة جينيس للأرقام القياسيّة. حيث تقع المزرعة في منطقة القصيم ببريدة، وتحتوي على أكثر من ٢٠٠٠٠٠ نخلة، تنتج أكثر من ٧٥٠٠ طن سنويًا[٢]، ويذهب ريعها بالكامل للفقراء وإطعام ملايين الصائمين في بيت الله الحرام.

وإنّ هذه القصة التي نعيشها الآن واقعًا ملموسًا نفخر به، تجسّد تجديدًا لمفهوم الوقف الزراعيّ، وتتحوّل به من الجهد والهمّة الفرديّة إلى المؤسسيّة، فضلًا عما فيها من بُعْدَيْنِ: اقتصاديّ واجتماعيّ؛ فوجود أكثر من ٢٠٠٠٠٠ نخلة تنتج ٧٥٠٠ طن سنويًا يشير إلى أنّ الوقف لم يعد مقتصرًا على بعده التعبديّ أو الخيريّ المباشر، بل أصبح موردًا اقتصاديًا مؤثرًا يُسهم في تحقيق الأمن الغذائيّ، وتوليد فرص عمل، وتنمية المجتمع المحليّ.

وهكذا ارتقت من نخلةٍ لإنقاذ يتيمٍ في العصر الفاضل عصر النبوّة، إلى استلهامٍ واستضاءة بالبذرة الصادقة؛ ليتولّد آلاف النخيل لمكافحة الفقر والمرض، ثمّ لا يغيب البعد الرمزيّ والمعرفيّ؛ فدخول المزرعة موسوعة «جينيس» للأرقام القياسيّة يكسب الوقف بعدًا

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧)

(2) https://n9.cl/y7kdq

تاريخ الدخول: ١٣/ ٩/ ٢٠٢٥

رمزيًّا عالميًّا، ويضعه ضمن النماذج المبتكرة في توظيف الأوقاف، مما يفتح المجال للدراسات المقارنة حول إسهام الأوقاف في التنمية المستدامة في مقابل الصيغ التقليديّة.

وبهذا يمكن أن تنطلق الدراسات البحثيّة المعاصرة حول الوقف إلى دراسات تجديد مفهومه المعاصر، وكيفيّة إدارته وبخاصّة الأوقاف الزراعيّة وفق آليّات السوق، وكيف تكون العلاقة لائحة جليّة بين الوقف والتنمية المستدامة، وأثر التحوّل المؤسّسي في تعزيز الاستدامة الوقفيّة.

العنصر السابع: عوائد لا تنضب: «اقتصاد النخلة» الدائريّ المتكامل:

والاقتصاد الدائريّ هو: نظام لا تُهدر فيه المواد، وتتجدّد فيه الطبيعة، حيث تُحفظ المنتجات والمواد في التداول من خلال عمليّات مثل الصيانة وإعادة الاستخدام والتجديد وإعادة التصنيع وإعادة التدوير والتسميد[1].

وقد أدخلت تقنيات العصر الحديث وقف النخيل ضمن منظومة الاقتصاد الدائريّ، فأصبح أنموذجًا حيًّا للعطاء المستدام، من خلال الاستخدام الأمثل للموارد، باستخدام الأرض والمياه والعمالة والموارد الأخرى بكفاءة لزيادة الإنتاج وتقليل التكاليف، من خلال تقليل النفايات وإعادة استخدام المخلّفات الزراعيّة مُدخلاتٍ جديدةً، مما يضمن استدامة الموارد وتقليل الآثار السلبيّة على البيئة.

ولم يعد وقف النخيل مجرّد صدقة، بل صار استثمارًا تنمويًّا يفيد المجتمع، ويقوم على تخفيف آلامه وآلام المحتاجين فيه. وإنّ وقف النخيل يُعيد التأكيد على أنّ العمل الصالح لا ينضب، وأنّ النخلة التي وُصفت بأنها «مثل المسلم» كما في الحديث من قوله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني: ما هي؟» فوقع الناس في شجر البوادي قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال: «هي النخلة» [2] ـ تعدّ تجسيدًا حيًّا لفكرة أنّ العطاء الحقيقيّ لا ينتهي بانتهاء الحياة، بل يمتدّ أثره ليكون شجرةً في الأرض، ومثلها في الجنة.

(1) https://url-shortener.me/4VPF

(٢) سبق تخريجه.

ولقد أثبتت زراعة النخلة ورعايتها أنها ليست مجرّد مصدرٍ للغذاء، بل هي محرّك اقتصاديّ قويّ. ففوائد وقف النخيل تتجاوز مجرّد إنتاج التمور لتشمل منظومةً اقتصاديةً واجتماعيةً متكاملة.

وَيُعدّ هذا الوقف بمثابة نموذجٍ «للاقتصاد الدائريّ الخيري» حيث استُغِلّت جميع أجزاء الشجرة لإيجاد قيمة مستمرّة. فمن جذوع النخيل يُصنع الأثاث والأسقف، ومن السعف والجريد تُصنع الحصر والسلال، ومن الليف تُصنع الحبال وحشوات المقاعد.

والأمر لا يقف عند هذا فحسب؛ فالنوى الذي كان يُستخدم علفًا للحيوانات، أصبح اليوم يُستغل في صناعة القهوة وفي إنتاج الوقود الحيويّ. وهذا التنوّع في الصناعات يُوجد فرص عمل مباشرة وغير مباشرة، ويُسهم في تحقيق التنمية المستدامة، حيث لا يُهدَر أيّ جزء من الشجرة، بل يُعاد استغلاله لإيجاد قيمة اقتصاديّة واجتماعيّة جديدة.

وهذا ينقلنا إلى أثر النخيل في التنمية المستدامة من خلال عمليّة وقفه.

العنصر الثامن: وقف النخيل.. إسهامٌ في التنمية المستدامة:

في ظلّ التحديات العالميّة المعاصرة يُقدّم وقف النخيل أنموذجًا عمليًا وفعالًا لتحقيق أهداف التنمية المستدامة؛ فهو يُسهم بشكل مباشر في:

- **الأمن الغذائي**: من خلال زيادة إنتاج التمور وتوفير مصدر غذائيّ أساسيّ ومبارك في الكثير من المجتمعات.
- **مكافحة الفقر**: عبر توفير دخل سنويّ متزايد للأسر المحتاجة، وتحقيق الكرامة لهم بدلًا من الاعتماد على المساعدات العابرة.
- **حماية البيئة**: بمكافحة التصحّر وزيادة الغطاء النباتي؛ فجذور النخيل العميقة تساعد على تثبيت التربة ومنع تآكلها.
- **دعم القطاعات الحيويّة**: حيث تُوجه عوائد الوقف لدعم مشروعات خيريّة أخرى، مثل بناء المساجد وحفر الآبار ورعاية الأيتام، وتمويل الخدمات الطبيّة لمرضى الفشل الكلوي.

العنصر التاسع: التحدّيات التي تواجه وقف النخيل:

وقف النخيل على علوّ قدره ومكانته لا يستقيم أبدًا، ولا يؤتي ثماره المرجوّة دائمًا، بل يواجه تحدّيات على غرار أي مشروع آخر، والتحدّيات تأخذ مسارات عدّة كما يلي:

١. تحدّيات فنيّة وزراعيّة، تتشكل في تقدّم في عمر النخلة مما ينعكس على وفرة إنتاجها؛ فإنتاج النخلة يتراجع بعد سنٍّ معيّنةٍ، وحينئذٍ يكون وقف النخيل القديم مشوبًا بعدم الجدوى، حتى مع استبدال القديم، فإنّ عمليّة الاستبدال تستغرق وقتًا وعمرًا طويلًا.

٢. تحدّيات في العوائد؛ فإنتاج النخيل موسميّ بمعدّل مرّة واحدة، وأجور العمّال والقائمين على أمره قد يتطلّب استمرارها طوال العام، فتحدث فجوة تمويله تحتاج لتفكير اقتصاديّ يحمل تحديًا كبيرًا لسدّ تلك الفجوة.

٣. الحاجة إلى تكاليف تشغيل ضروريّة، كالريّ والتلقيح والخدمة والتسويق، فضلًا عمّا يمكن أن يتعرّض له من آفات تنعكس على إنتاجه، وكذا تعرّضه أحيانًا لآفات قد تتعرّض لها مزارعه، فيكون الوقف قد أصيب في أصله الذي يقوم عليه.

٤. تحدّيات إداريّة وتنظيميّة في عمليّة الرقابة والمحاسبة، وبخاصّة إذا كانت المزرعة كبيرة تصعب معها عمليّة المراقبة، مما قد ينعكس سلبًا جرّاء الإهمال أو الاستيلاء وتبديد المحصول.

٥. التحديات الاقتصاديّة، وتتمثّل في تقلّبات الأسعار الخاصّة بالتمور، وحيث الجودة والمنافسة فلهما أثرٌ كبير في تحديد العوائد، وهذا يصعب معه التخطيط الماليّ طويل الأجل للجهة المستفيدة.

لكن رغم ذلك يمكن الحدّ من تلك التحدّيات وانعكاسها وآثارها بالاستعانة بأهل الاختصاص، ووجود إدارة مرنة تتعامل مع أيّ تحدّ بما يلائمه.

كذلك يمكن التحوّل في وقف النخيل من مبادرات الأفراد إلى مؤسّسية وقفيّة متخصّصة، ودمج التقنيات الحديثة (الزراعة الذكيّة)، وإيجاد شراكات بين المؤسّسات

الوقفيّة والقطاع الخاص، مع مراعاة انتقاء الأصناف ذات القدرة التنافسيّة التي يُقبل على جمهور المستهلكين، حتى لا يواجه التسويق صعوبة تضطرّه للتخزين مما يضيف أعباءً أخرى، أو أن يتعرّض لتلف بعضه مما يقلّل عوائده.

هذا وعلى مستوى الأفراد ومن يجدون السبيل للوقف يجبُ أن يختاروا لوقف النخيل أجود الأنواع التي يُقبل عليها المستهلكون.

النتائج:

بعد تلك العناصر استبان لنا من خلال ذلك ما يلي:

١. وقف النخيل من الأوقاف عظيمة النفع دائمة الأثر.

٢. يجسّد الوقف وأجره الدائم القيمة الحقيقيّة للمال، وأنه للنفع وبذل المعروف.

٣. الصلة بين مزارع الوقف الخيريّة والتنمية البيئيّة والتنمية المستدامة لائحة وجليّة.

التوصيات:

١. العناية التامّة بأوقاف المزارع الحالية، وإعادة إحيائها عبر الاستثمار والحلول المتاحة.

٢. إنشاء أوقاف تخدم المزارع الوقفيّة، وتقوم بخدمتها وتعظيم أثرها.

٣. التوسّع في إنشاء أوقاف خاصّة بالمزارع الوقفيّة والتمور.

٤. لا بدّ من أن تتّجه الدراسات في مجال الوقف إلى تجديد مفهوماته المعاصرة، بالوقوف على أعلى إفادة ممكنة منه.

٥. تدشين حملة توعية حيال وقف النخيل والتمور والإسهام منه بكلّ سبيل بين الناس.

والله أسأل أن يبارك في الأعمال، وأن يرزقنا السعة في المال والرزق والعمر؛ ليتيسّر لنا إيقاف المزارع والأراضي من غير حدّ ولا عدّ، نحن وجميع القارئين.